الصوتيات المفرغة للشيخ الخليفي (21)

بذور التسوية

صوتية أخوية لمن أراد أن ينصف

عبد الله بن فهد الخليفي

@alkulife

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بذور النسوية؛ صوتية أخوية لمن أراد أن يُنصف.

هذه الصوتية موجهة بالدرجة الأولى الآباء والأمهات الذين يخافون من وصول هذا السرطان الفكري إلى بناتهم، أو حتى إلى أولادهم الذكور (لأنه سيأتي معنا أن النسوية فكر ممكن يتبناه رجل لا مشكلة من طريق عقدة الذنب). وأيضاً موجّه لكثير من المسلمات المعتزات بإسلامهن، واللواتي حقيقةً بعد نظر طويل، وبحث، وتواصل مع الكثير جداً من الأسئلة والاستشارات، وجدت أن بذور النسوية لها انتشار كبير جداً جداً جداً بين بنات المسلمين، اللواتي ربما يناوئن النسوية باللفظ وفعلاً تجدهن يناوئن النسوية في عدد من منتجاتها ولكن عندهن هذه البذور. هذه البذور لم تثمر، لم تونع، لم تورق لأنها يوجد ما يعارضها وإنما كانت ثمرتها ناقصة، ولكن في الجيل القادم ممكن أن تنتج هذه نسوية كاملة.

أنا عندي اعتقاد جازم أن الأفكار المنحرفة عظيمة الانحراف لا تأتي دفعة واحدة، وإنما تأتي بالتدرج، ولكل كفر وشرك هناك ما يقابله من البدع الممهِّدة له داخل أمة الإسلام.

وحقيقةً، موضوع النسوية بالذات هذا موضوع أتعبنا جداً. بعض الناس ممكن يراه موضوعاً نركز عليه بلا داعٍ، لكن والله هذا الموضوع متعب إلى حد كبير جداً. أيام مناقشتنا للإلحاد أو للصوفية أو للتمشعر أو للمد التنصيري أو للمد التشييعي أو للمد الرافضي... في كل هذه الأوقات نحن نرصف الحجج بطريقة معينة، نفهم حجج الطرف المقابل، تجدنا يجلس المرء يقلب فكره ثم يكوّن حجة ثم يدفع بهذه الحجة على الخصوم، أو يدفع بها للإخوة ويقول لهم: «استخدموا هذه الحجة مع القوم الآخرين».. إلا موضوع النسوية!

موضوع النسوية فكر شعبوي تماماً، بمعنى أنه ينتشر بين الكثير من الدهماء؛ الكثير من النساء اللواتي ليس عندهن درجة من الثقافة، والكثير من الشباب لا ثقافة شرعية ولا ثقافة دنيوية حتى علمانية ولكن الأمر عندهم مجرد تأثر ببعض الأفكار، حتى إنك مهما قدمت من الحجج لهم في الغالب هذه الحجج لا يفهمونها نهائياً؛ بل يسفسطون عليها لأن البحث عاطفي تماماً.

ساعتئذٍ، في التعامل مع مثل هذه الأفكار لازم نبدأ نفهم هي من أين أتت أصالة بذورها النفسية والعاطفية، ونبدأ نعالج هذا

الموضوع من الأساس (موضوع الحجاج الفرعي هذا سينتهي إلى سِباب وشتائم، لا يمكن أن نصل إلى نتيجة).

حتى إنني في وقت من الأوقات كنت أتواصل مع أخت مصرية.. خلينا نقول «نسوية إسلامية»، هذه الأخت طريقتها أنها تريد دائماً الترجيح الشرعي وفاقاً لما هو في هواها (وفي العادة يعني هوى المرأة)؛ فأي فتوى لعالم أو غيره تجدها لا تروق لها تبدأ بالاستعانة بـ: «يا شيخ قل لي...»، أي حديث لا يروقها تبدأ تسألني: «الحديث الفلاني ما علته؟ ما كذا...»، فبدأت أنتبه.. في بداية الأمر وبشكل بريء كنتُ أحياناً أنقد الفتوى، أقول: «لا، هذه تحتاج إلى تقييد في الموطن الفلاني، إلى تخصيص في الموطن الفلاني...»، وحقيقةً، دائماً أحاول أن أنبه ألا تكون متحاملة على أهل العلم، فأحاول أني أعتذر للطرف الآخر بشكل كبير جداً، إلى أن وصلتُ معها إلى طريق مسدود، وبدأت بالوعظ أنه: «يا أختي، ينبغي أن تفهمي أن دين الله عَزَّوَجَلَّ لم يأتِ لكي يسير على هواك، الهوى هذا المتكون من خلال نتاج مسلسلات وأفلام وروايات وأحلام و... بل الشريعة جاءت لتنصف الجميع، ثم في النهاية في أقصى درجاتها حتى لو طُبقت فيبقى نقص المطبِّق حاكماً، ففي

النهايـة لا جنـة هنـا في الأرض؛ الجنـة في الآخـرة».

وهـذه التجربـة وغيرهـا مـن التجـارب أثـرت فيّ، وكان مـن آثارهـا هـذه الصوتيـة الـتي مـن خلالهـا أنـا أحـاول أن أفهـم أو أُفهِّـم إخـواني قـدر المسـتطاع مـا بـذور النسـوية، ليسـت النسـوية الـتي نراهـا، لا، مـا البـذور الـتي مهـدت لظهـور هـذا السرطـان الفكـري.

• أول بذرة: «**فكرة المظلومية**».

هـذه الفكـرة تكلمـت عنهـا كثـيراً لكـني هـذه المـرة سـأحاول أن ألخـص تلخيصـاً مفيـداً وأن أقـول شـيئاً ربمـا لـم أقلـه في مـكان آخـر.

المظلوميـة [الفرديـة] أنـك تعتقـد أنـك مظلـوم مـن المجتمـع، مـن والديـك، مـن رئيسـك في العمـل، مـن، مـن، مـن... هـذا أمـر يقـع لعمـوم النـاس. فكـرة المظلوميـة تختلـف؛ فكـرة المظلوميـة معناهـا أنـك خاضـع لظلـم منظَّـم، أن المنظومـة المجتمعيـة كلهـا على بعضهـا تظلمـك أنـت بـالذات: بصفتـك ذكـراً، بصفتـك أنـثى، بصفتـك مسـلماً، بصفتـك يهوديـاً، بصفتـك شـيعياً، بصفتـك كرديـاً، بصفتـك كـذا... هـذي هي فكـرة المظلوميـة.

فكـرة المظلوميـة سـواءً بصورتهـا المنظمـة أو حـتى بصورتهـا

الفردية فكرة مريحة جداً في السياقات الرأسمالية التي نعيشها، كيف هذا؟ في السياقات التي نعيشها، النجاح الدنيوي أنك تكوّن جنة على الأرض؛ أنك تكون غنياً جداً، ما عليك ديون، ناجحاً في عملك، ناجحاً في علاقاتك الاجتماعية، مكوناً أسرة، عندك سكن فاخر، إلى آخر ذلك (الحلم الأمريكي)، وأن تحافظ على هذا كله، وكلما نقَصت عن هذا فأنت إنسان فاشل.

أذكى هذه النظرةَ مواقعُ التواصل وقبلها وسائل الإعلام الذين يذهبون إلى المشهور الثري هذا الذي يُفترض أنه وصل الأفق، وصل إلى أعلى شيءيذهبون إليه ويبدءُون يدققون في حياته ويتخذونه قدوة؛ لأنه حقق ما يتمناه الجميع (هكذا يوصلون لك)، فتجدهم يتكلمون عن الإنسان المشهور: «مشهور واقف بالطابور، مشهور يأكل برّد، مشهور فعل، إلخ».

والآن مع مواقع السناب وغيرها، كثير من الناس بدأ يعيش دور هذا المشهور، وبدأ يُظهر للناس: «انظروا: اشتريت الشيء الفلاني، فعلت الشيء الفلاني، حصلت على العدد الفلاني من المتابعين، إلى آخر ذلك».

فهذا يضع عندك شعوراً بالفشل، هذا الشعور بالفشل يجعلك تواجه نفسك. الشعور المريح أنك تلقي بهذا الفشل على طرف آخر، أنك تقول: «الطرف الفلاني هو سبب فشلي، المنظومة هي سبب فشلي».. هذي فكرة المظلومية. وهنا يشترك الذكور والإناث، لكن الإناث يركزن على هذا الموضوع؛ لأنه حتى التغاير بينهن أعظم (هذه نقطة سنتكلم عنها لاحقاً)، زيادةً على ذلك الإناث منذ الصغر وحتى [عند] الكبر عندهن وسائل ضغط معروفة، يعني تعرف أنت المرأة ممكن أمك تمارسها معك، زوجتك تمارسها معك، إلخ، إذا أرادت منك شيئاً وأنت رفضت وكان عندك أسباب، فتجد مثلاً: الغضب، عدم مخاطبتك، قطع اللسان عنك، البكاء.. طبعاً هذه وسائل تضغط [بها] عليك حتى لو كان معك الحجة، حتى لو كان معك أسبابك المنطقية لئلا تفعل هذا الشيء، لكن في كثير من الأحيان نحن نضعف، وهي نفسها ممكن ما هي مؤمنة بعدالة هذه الوسائل لكنها تفعلها وتستخدمها!

خطاب المظلومية كثير من النساء فهمن أنه «ما فيه مشكلة، خلينا نستخدم خطاب المظلومية؛ لأننا كلما استخدمناه حُزنا المزيد من الامتيازات، المزيد مما نسميه حقوقنا، لماذا؟ لأنه مثلما

تعودنا، مثلما أنا ممكن أبكي على شيء أصلاً أنا مخطئة فيه أو الطرف الثاني الذي منعني عنده وجهة نظر، فكذلك أنا أستخدم خطاب المظلومية في هذا السياق».

قبل مدة رأيت نسويات من لبنان، ولبنان هذه النساء فيها متحررات جداً كما يقال وهن واضح من صورهن هذا، ويتكلمن بلغة من المظلومية عالية جداً، طبعاً هن واصلات إلى «الرتم» الأخير من المظلومية الي هو اعتبار الرجال على مر التاريخ بما فيهم الأنبياء طبعاً قد ظلموا المرأة! وهي لا تريد أن تعترف بمقتضيات هذه المظلومية (أنه أنا الطرف الأضعف لهذا أنا أُظلم طوال التاريخ).

بعضهن لا، ممكن تحيل الأمر على مجتمع معين (المجتمع النجدي هو الي فيه مشكلة)، بعضهن ممكن تحيل الأمر على مذهب معين (المذهب الفلاني هو الي فيه مشكلة)... لكن في النهاية أهم شيء لازم أنا ألقي باللوم، لا بد أني أعيش دور المظلومية.

الإنسان الي يتغذى بشعور المظلومية دائماً أبداً هذا إنسان

ممكن في كثير من الأحيان تتولد عنده أيديولوجيا الضحية، بحيث إنه يصير يفعل الموبقات والرقاعات ويرى نفسه محقاً؛ لأنه «يكفي أني مظلوم، الي فيني مكفيني»، وممكن لا يرى لأحد فضلاً عليه؛ «لأني أنا مظلوم فما فضلكم علي؟ مهما فعلتم فلن تسدوا ظلمي، ولن توفوا حقي». وصاحب شعار المظلومية هذا يجعل من الحبة قبة.

فكرة المظلومية هذه تفاجأت أن الكثير جداً من الفتيات المسلمات متغذيات بهذه الفكرة ويعتقدنها، ربما يُرجعن الأمر للعرف وأن الإسلام لا يطبَّق كما ينبغي (يعني هذه أحسنهن طريقة).

نحن كيف نعالج فكرة المظلومية هذه؟ أول شيء: يُفهّم الطرف الآخر أنه لا أحد هنا على وجه الأرض ليرضي الآخر؛ بل الكل يرضي الله عَزَّوَجَلَّ، وأننا ينبغي لكي ننصف أن ننظر لكل منظومة، حتى منظومة الأسرة وإن لم تكن ملتزمة بالشرع مئة بالمئة يُنظر لها من خلال حسناتها وسيئاتها، فمثلاً: الأسرة نعم، قد تقيِّد بعض الاختيارات حتى العادلة، ولكن الأسرة نفسها هذه هي التي تنفق وتحمي، فلا بد أن أنظر للأمر من كل الجهات، لا

أن أنظر إلى جهة معينة في ما حُرمتُ منه فقط. والإنسان ممكن يبقى يتحدث بالمظلومية حتى يستحيل ظالماً، حتى يتحول إلى ظالم. وأن كونَك ظُلمت هذا ينبغي ألا يكون ذريعةً لأن تظلم بل لأن تخاف من الظلم؛ لأنك ذقت مرارته، فلا ننتقل من ظلم الأنثى إلى ظلم الذكر.

هذه أول نقطة (الي هي نقطة المظلومية) وهذه نقطة أساسية ومحورية.

• النقطة الثانية: نقطة «**الانطلاق من مركزية الذات**»، و«**الاستعلاء حتى على الوحي**»، بمعنى أنك تجد كثيراً منهن تأتيك وتقول على جهة التقييم للإسلام إن الإسلام كرم المرأة، الإسلام فعل للمرأة كذا وكذا.. هذا ممكن يحمله إنسانٌ على تعديد محاسن الشريعة، نعم هذا ممكن أن يكون. لكنه إذا اقترن بعقدة المظلومية واقترن بسلوكيات أخرى سنتحدث عنها تشعر أن الطرف الآخر وكأنه يقيم الإسلام ويضع درجات، يعني الإسلام: سبعة من عشرة = كرم المرأة.. ناجح!والدليل على ذلك التلويح بورقة الكفر أو بورقة الإلحاد عند عدد لا بأس به من الفتيات، أنه «الحكم الفلاني [كذا]» أو «كرهتمونا بالدين» أو كذا... (مركزية الذات)!

الآن الإنسان يُفترض أن تكون المركزية عنده لله ورسوله! الإنسان المؤمن إيش معنى أنك مؤمن؟ معناه الله ورسوله أحب إليك مما سواهما، وأما أن يكون إيمان الإنسان بالله ورسوله مشروطاً بأن يكون الله ورسوله يسيران على هواه، ثم نُطالَب نحن بأن نأتي بخطاب تلفيقي حتى يُرضي هذا الطرف، هذه مشكلة كبيرة!

وبعض الفاضلات لما كلمتها [قالت]: «إذن أنتم بسببكم الناس نفروا من الدين و...» وكنت أكلمها ببعض الحقائق الشرعية. هي ممكن تحب الله ورسوله حباً جماً ما فيه مشكلة لكن هذه استراتيجية، هذه طريقة للتعامل وللضغط على طالب العلم أو على الشيخ.

لهذا كثير من طلبة العلم بنية صافية وبنية طيبة، لكيلا تنفر فلانة أو فلان من الدين؛ يحاول قدر المستطاع أن يأتي بأنسب الاختيارات مع هذه النزعات النفسية. في الواقع، خذها من إنسان أُمشي في هذه الطريق: هذا ليس حلاً؛ في النهاية سنصل إلى طريق مسدود، ومطالبات هؤلاء أصلاً لا تصل إلى حد، لا تقف عند حد. بل ينبغي أن تعلمه التسليم، وتعظيمَ الله ورسوله

والتسليمَ لهما، وأن الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] الخلق والأمر هذه علة وتعليل، وكأن سائلاً يسأل: «لماذا له الأمر؟» فتقول: «لأن له الخلق»، فهو خلق الذكر وخلق الأنثى ثم جاءت منه الشريعة تتناسب مع الخِلقة التي خلقها، وهو أعلم بمن خلق.

هذه نقطة محورية.

فالإنسان الذي يكون إيمانه مشروطاً بأن أعطيه شريعة على هواه، تتناسب مع هذا الهوى الذي هو أصلاً غير مبني على الشريعة؛ بل مبني على ثقافة مناقضة للشريعةهذا إنسان لم يؤمن أصلاً، فهذا الإنسان الذي لم يؤمن أصلاً أنت اِتعب على أن تزرع في قلبه إيماناً حقيقياً، لا أن تداهنه أو تداريه في ما تظن.. أبداً!

• البذرة التي تليها: بذرة «**الخلط بين الضروريات والتحسينات**» و«**تقديم المصلحة الفردية على مصلحة المجتمع ككل**»؛ بل اعتبار المصلحة الفردية هي الأصل وهي الأساس. ما معنى هذا؟

معنى هذا أننا مثلاً لو تكلمنا عن أن الأمر الفلاني يؤدي إلى فساد أخلاقي في المجتمع، أو أن الأمر الفلاني: يعطل

بـاب الضروريـات مـن تكاثـر المجتمـع، يعطـل بـاب الضروريـات مـن تسـهيل الـزواج على الشـباب.. مثـل قصـة خـروج المـرأة: حـين نتكلـم عـن خـروج المـرأة للعمـل لا ننظـر للموضـوع بسـطحية؛ ننظـر للموضـوع مـن كل أبعـاده: خـروج النسـاء بشـكل مكثـف إلى سـوق العمـل يعـني رُخْـص الأيـدي العاملـة، رخـص الأيـدي العاملـة هـذا يعـني وجـود إشـكال في مقـدرة الشـباب على بنـاء الأسرة، وأمـور المهـور وتكاليـف الـزواج كمـا هي؛ لأنهـن يتغايـرن، فمـا فيـه واحـدة رح تقـول: «سـأنزل عـن نظـيراتي»، لا يمكـن، فسـيبقى الأمـر كمـا هـو. زيـادة على ذلـك أن كـثرة الخـروج، مـع التـبرج، مـع غـيره... سـيوفر بيئة للتفريـغ عنـد كثـير مـن الشـباب مما سـيجعله في الـزواج أزهـد. هـذا مـع الأسـف وقـع في بـلاد كثـيرة (انظـر إلى نسـبة العنوسـة في لبنـان وفي تونـس تفهـم الأمـر).

الشـاهد: حـين نطـرح مثـل هـذا الموضـوع، ممكـن هي إيـش تطـرح لـك؟ تقـول لـك: «أنـا أسـافر، أنـا أفعـل، أنـا أريـد وظيفـة لأفعـل كـذا وكـذا». هـذه الأمـور لـو فرضنـا أنهـا مباحـة هي مجـرد تحسـينات، هـذه التحسـينات لا يمكـن أنهـا تصـير فـوق الضروريـات أو فـوق الحاجيـات! حـتى حـين يتحـدث إنسـان عـن موضـوع السـتر،

عن موضوع الفصل بين الجنسين، إلى آخر هذه المواضيع التي تضرب في باب العفة، في باب حفظ الأعراض (الباب الأصلي)...

• طبعاً أيضاً من ضمن البذور: أنه يشاهَد سد الذريعة فقط في ما يُردنه، يعني لو يأتي إنسان يقول: «أنا عازف عن الزواج»، ونحن من دعاة التعدد والزواج المبكر، وتوسيع دائرة الزواج بعيداً عن القُطريين، لكن يجيء إنسان يقول لك: «أنا ما أقدر أتزوج الحين» أو كذا، فتجد هذه الدعوة بالنسبة لهن [محتقرة]، مع أنها ممكن تؤدي إلى اللواط، ممكن تؤدي إلى كذا... الآن اشتغل فقه سد الذرائع لكن لما يتعلق الأمر بالاختلاط أو بغيره أو بغيره... فقه سد الذراع ينبغي أن يلغى. طيب لماذا؟ لأنه نحن نريد أن نخرج، نريد أن نوفر مبلغاً مادياً للكثير من الحاجيات، نريد أن كذا...

لهذا مثلاً ربات المنزل محارَبات تجدون هذا في مواقع التواصل محارَبة، هي لماذا محاربة؟ لأن زوج ربة المنزل سيحدث زوجي بما يحصل، وزوجي سيغار فإما أن يفكر بالزواج بثانية، وإما أن يأتي لي ويقول لي: «لو سمحتِ، بما إنه فاتني من الخير ما عند صاحبي فعوضيني مادياً بما عندك، وأعينيني في مصاريف المنزل»، وفي

الواقع هي في عقلها تريد أن تنفق على كماليات، على ذهاب، على خروج، على... هذا من ضمن المشاكل.

• ومن ضمن الإشكاليات، من ضمن البذور الواضحة حتى في بعض الأبحاث الفقهية: أنه لما نأتي إلى «عندهم هذا ما هو واجب»: «ما هو واجب» يعني يجوز أن يُسب، يجوز أن يُتحدث عنه بطريقة سلبية !

يعني ممكن واحد يسب النقاب، فيقول الناس: «لا، النقاب من الدين وكذا» (هذه أجدها كثيراً)، فتأتي واحدة تعلق وتقول: «طيب، النقاب ما هو واجب» (طبعاً هو الاختيار الفقهي بالتشهي) طيب [فرضنا أنه] ما هو واجب وهذا غير صحيح، طيب ما هو واجب يعني مستحب، مستحب يعني حضوره مطلوب، إذن الحديث عنه بصورة سلبية على أي أساس؟!

حتى خدمة الزوج: «خدمة الزوج ما هي واجبة» طيب، ما هي واجبة [يعني] هي حال فاضلة؛ المرأة التي تخدم زوجها أحسن من المرأة التي لا تخدم زوجها؛ لأنه مستحب! فدائماً يستخدمن مثل هذه الألفاظ؛ أنه «هذا ما هو بواجب»، كأن «ما هو واجب»

يساوي «هو محرم» أو «هو مكروه»، فجائز أن نتحدث عنه بطريقة سلبية! هذا أمر ينبغي أن يُفهم، لا بد أن يُفهّم للجيل هذا الأمر؛ أن عدم وجوب الشيء لا يعني أنه شيء يجوز أن نتحدث عنه على أنه عبء، بل عدم وجوبه إن سلمنا بذلك واستحبابه هذا معناه أنه مطلوب وجوده شرعاً، ولكن بدرجة الاستحباب لا بدرجة الوجوب، لا أكثر ولا أقل. فإذن معناه أنه كلما كثر في المجتمع فهذا معناه أن المجتمع خير وأفضل، وأن الإنسان الذي يفعل هذا هذا إنسان مستحق للنظر بشكر وتقدير.

• من ضمن معززات المظلومية التي نتكلم عنها قبل أن نتحدث عن البذرة الآتية وقد فاتني الحديث فيها: بعض النساء المتزوجات إذا جلست مع نساء عازبات، تجدها هي فاضلة فتستحي أن تحدثهن باللحظات الجميلة بينها وبين زوجها.. تستحي من ذلك. ولكنها في الوقت نفسه لا تستحي نهائياً أو لا تتحشم نهائياً من ذكر الحوادث السلبية وسلبيات الزواج، وحتى تجدها أثناء الحديث ممكن تكون منفعلة وتطلق كلمات سيئة جداً، مما يجعل كثيراً من بنات الجيل تتصور أنها داخلة في معركة، وتكون صورتها عن الجنس الآخر سلبية جداً جداً جداً. وهذا

أمـر يتكـرر، بعضهـن أصـلاً تفعـل هـذا عمـداً مـن بـاب دفـع العـين (هـذه اسـتراتيجية معروفـة؛ دفـع العـين والحسـد).

وهـذا أيضـاً حـتى موجـود في بعـض الأمهـات؛ تجـد بعـض الأمهـات إذا جـاءت تذكّـر أولادهـا بأفضالهـا عليهـم: «أنـا فعلـت، أنـا سـويت، أنـا كـذا»؛ لا ترتـاح حـتى تحـط على والدهـم أمـام مجهوداتهـا هي: «وأبوكـم كـذا وأبوكـم كـذا وأنـا كـذا وكـذا»، حـتى إن كثـيراً مـن الأولاد عندهـم فجـوة نفسـية بينهـم وبـين آبائهـم سـببها الأمهـات! هـذا قـد يقـع مـن الجهـة الأخـرى، ولكـن هـذا الآن واقـع بشـكل كبـير جـداً [مـن النسـاء]؛ لأن الإعـلام غـذى قصـة المظلوميـة هـذه عنـد النسـاء، ولأن الأمـر أصـلاً متناسـب مـع الضعـف الطبيـعي عنـد النسـاء أنـك تفهـم أنهـا مظلومـة.

لهـذا فكـرة المسـاواة هـذه مسـتحيلة تمامـاً؛ لأن فيـه دسـتور غـير مكتـوب يقـول بضعـف النسـاء هـذا، المـرأة نفسـها معتقـدة ذلـك؛ تعتقـد أنهـا مهمـا تكلمـت بلسـانها فـهي أضعـف مـن الرجـل، يعـني لـو يـجيء رجـل يمـد يـده عليهـا يريـد أن يضربهـا في شـجار بينهمـا، تتفاجـأ وتقـول: «كيـف أنـا امـرأة وأنـت تضربـني بهـذه الطريقـة؟!».

حتى لو أنت مثلاً رئيس في عمل وعندك ذكر وعندك أنثى، وأخطآ الخطأ نفسه، انظر إلى نفسك كيف تخاطب الذكر وكيف تخاطب الأنثى؛ تجد نفسك في الغالب تخفف العبارة حين يتعلق الأمر بالأنثى وتقويها حين يتعلق الأمر بالذكر. هذا دستور غير مكتوب وهذا أمر فطري؛ أن المرأة دون الرجل أو أضعف، أو أن احتمالها أضعف، فيراعى مثل هذا الأمر.

فلهذا خطاب المظلومية وتعزيزه أمر معروف في مثل هذه السياقات.

• الأمر الذي يليه: **الحديث عن حقوق الرجل على أنها مجرد تشريفات**، يقول لك: «القوامة تشريف لا تكليف». فيه قاعدة اسمها «الغنم بالغرم»؛ الله عَزَّوَجَلَّ لما خلق الأنثى قلنا: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] خلقها أنثى تؤثر في الرجل حتى منذ زمن قديم، وهذا جعله الله عَزَّوَجَلَّ لتمام النسل، حتى قديماً تجد كثيراً من الشعراء معظم تراثهم الشعري في المديح والغزل.. تؤثر في الرجل. فالله عَزَّوَجَلَّ رحمةً بالرجال أمر النساء بالقرار بالبيوت، وجعل الرجال هم عليهم النفقة (هذه المنظومة المتوازنة) وبما أن عليهم النفقة، وبما أنهم يشقون ويتعبون، وبما أنهم يجاهدون

وبما أنهم... أُعطوا تعويضاً نفسياً متعلقاً بالطاعة بالمعروف طبعاً مفهوم الطاعة الآن صار قريباً من الإهانة عند كثير من النساء الطاعة بالمعروف له إن كان عدلاً طبعاً في العادة ماذا يفعلون؟ يأتيك ويحدثك أنه فيه رجل ما هو زين.. يأتيك بالحالات التي لا أحد يتحدث عنها، نحن نتحدث عن أصل المنظومة، فإن فُقدت الأهليةحتى الوالدان ممكن يكون الوالدان كافرين، لكن أصل المنظومة؛ منظومة بر الوالدين هي منظومة معروفة ومعتبرة، كذلك الإحسان للزوجة منظومة معتبرة، وممكن الزوجة تكون ليست بذاك، إلى آخر ذلك.. فأعطي هذا التعويض النفسي. الآن حتى هذا التعويض النفسي يُراد أن يسلب منه.

فكما قلنا: ما دامت المساواة مستحيلة إذن عملية المساواة هي في واقعها، في حقيقتها إيش؟ هي سلب لحقوق الرجل لصالح الأنثى! هذا يُحدث حالة كبيرة جداً من الاحتقان عند الرجال، هذه الحالة من الاحتقان عند الرجال تظهر في ممارسات كثيرة، وتظهر حتى [على شكل] عنف.

وهذه المسألة الي ينبغي أنها تُفهّم لجيل الفتيات: إنكن تطلبن شيئاً مفقوداً مستحيلاً ببذل الموجود المقدور عليه.

طيب، فهمنا الموضوع:

- **قصة المظلومية؛**
- **عدم فهم قاعدة الغنم بالغرم؛**
- **رفع التحسينات إلى مستوى الضروريات؛**
- **مشاهدة المصلحة الفردية على المصلحة العامة؛**
- **عدم مشاهدة ميول الآخر أصلاً، حتى ميوله الغريزية عدم تقديرها**: يعني مثلاً هي تتبرج وتقول لك: «خل الرجل يغض بصره»، طيب أنت ما غلبتِ شهوة الزينة عندك وأن ينظر الناس إليك، ثم تعظينه هو بما عنده؟! ولا شك هو واجب عليه أن يغض بصره، لكن ما يصير واحد غني يقول: «أنا رح أبخل بمالي وخل الفقير يستعف ويمسك يده»! نعم الفقير سيستعف ويمسك يده، لا مشكلة (إذا كان تقياً)، ولكن إن وُجد فقير على مستواك أنت في عدم التقوى ومدَّ يده فلا مشكلة؛ فأنت فجرت فجور الأغنياء وهو فجر فجور الفقراء! فكذلك أنتِ فجرت فجور الإناث بالتبرج وهو ممكن يفجر فجور الذكور بالتحرش! هذا الموضوع الي ينبغي أنه يُفهم.

• أيضاً حتى **التلاعب بالألفاظ الأصولية**، فعلى سبيل المثال: كثير من المستحبات تحولت إلى مباحات، يعني مثلاً مجرد الزواج بنية صالحة يعتبر مستحباً، والتعدد على نفس المستوى، وما يُنسب لبعض متأخري الحنابلة وهم قالوه بأنه «إذا عفته امرأة واحدة استُحب له أن يبقى عليها»[١]، هذا قول خلاف نص أحمد[٢]، ولا أحد يستطيع أن يأتي بنص لأحمد يخالف ذاك [النص]، فهذا مستحب. ختان الإناث مثلاً مستحب تحول إلى مباح، مثلما النقاب المستحب عند بعض الفقهاء في غير أزمنة الفتن هو مستحب حولوه إلى مباح! لماذا يحوَّل إلى مباح؟ ليُنزل عن قيمته وعن قدره.

فهذه هي البذور، هذه البذور لو اجتمعت في إنسان فهذا

---

(١) قال المرداوي الحنبلي (ت ٨٨٥) في "الإنصاف" (ت. الفقي) [٦١/٨]: «وَيُسْتَحَبُّ أَيْضًا: أَنْ لَا يَزِيدَ عَلَى وَاحِدَةٍ إنْ حَصَلَ بِهَا الْإِعْفَافُ، عَلَى الصَّحِيحِ مِنْ الْمَذْهَبِ».

(٢) قال ابن القيم في "بدائع الفوائد" (ط. الكتاب العربي) [٥٦/٤]: «ومن مسائل الفضل بن زياد: قال: سمعت أبا عبد الله قيل له: ما تقول في التزويج في هذا الزمان؟ فقال: مثل هذا الزمان ينبغي للرجل أن يتزوج ليت أن الرجل إذا تزوج اليوم ثنتين. فقلت: ما يأمن أحدكم أن ينظر النظر فيحبط عمله. قلت له: كيف يصنع من أين يطعمهم؟ فقال: أرزاقهم على الله عَزَّوَجَلَّ».

مشروع نسوية، سواءً أكان ذكراً أو أنثى؛ لأنه فيه ذكور عايش أيضاً نفس القصة (قصة المظلومية، وقصة كذا...) وهو مقتنع بهذه الأفكار من الأفلام والمسلسلات، وإلا عقدة المظلومية هي نفسها تدل على اللامساواة؛ لأنه ما دام فيه طرف استطاع أن يقهر طرفاً كل هذه المدة فإذن هذا الطرف هو الطرف الأقوى، فما دام هو الطرف الأقوى إذن علينا أن نفهم الأمر كما ينبغي، إذن ليسا شيئاً واحداً.

• حتى مثلاً الكلمة التي تقال: «**العلاقة بين الزوجين تكاملية**»، هذه الكلمة لها أوجه: لها وجه صحيح فعلاً؛ أنها هي تقوم بدور هو لا يقوم به وهو يقوم بدور هي لا تقوم به، لكن «تكاملية» هل معنى هذا أنه لا قوامة له ولا طاعة؟! هذه قصة ثانية.

حين يأتين إلى أمور هي في الأساس في الشرع إن جوزناها فهي مباحة، أنها مثلاً تخرج للعمل في عمل فيه ضوابط شرعية، هذا أقصاه ما دامت تريد المال مباحاً، إلا أن يكون لها نية أخرى ولكن في النهاية هذا مباح. هذا المباح يتحول إلى حق أصيل، ويصير هذا «حق المرأة»! طيب على أي أساس صار حقاً؟! كلمة حق يعني شيء واجب.. على أي أساس؟! هي النفقات الشرعية كلها

الواجبة بوجوب الشرع على الرجل، فكيف يكون الاكتساب للمرأة التي ليس عليها نفقات شرعية واجباً أو حقاً لها؟! هي الآن تستفيد من المنظومة العالمية: حق [كذا]...

حق [كذا]... حق[كذا]... ما الحق؟ ما دليله من الشرع؟!

يأتي بعض الأستاذة المتفقهة الحلوين يكتب لك بحثاً أنه «نعم هذا جائز، وكانت فلانة تداوي، وكان فلان...»[مولانا]، هم يتكلمون عن «حق» يعني لا يجوز حتى للولي المشفق أن يمنع منه! يتكلمون عن حق، لا يتكلمون عن شيء مباح!

• وأيضاً: «**التغاير الشديد بين النساء**»، ومع الأسف، مع الأسف «**النساء الفاجرات قدوة**»! حتى اليوم من الأمور المضحكة أن كثيراً من الصالحات صارت محللاً، يعني بيئة عمل معينة فاسدة وفيها مشاكل، مكان عمل معين ما نبي نسمي بعض البيئات تجد هذا المكان فاسداً، فيه من الفساد ما الله به عليم. وتجد واحدة صالحة موجودة بهذا المكان أو واحداً صالحاً محللاً، عشان أنت لو قلت: «البيئة الفلانية فاسدة» قال لك: «الله! فلان موجود!». وهذا كثير من الصالحين عمله محلل مع الأسف وهذا لا ينبغي؛

﴿فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٦٨﴾ [الأنعام: ٨٦]

والله المستعان.